الرياض

الجمعيات الخيرية بين الواقع والمأمول

حمد بن عبدالله اللحيدان

لقد فطر الله سبحانه وتعالى النفس البشرية على حب الخير وبذل المعروف وعزز ذلك بالتعاليم السماوية من خلال الرسل والأنبياء الذين كان خاتمهم رسول الهدى والمحبة محمد صلى الله عليه وسلم الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في الله حق جهاده.

وتعاليم الإسلام في مجال البذل والعطاء والحث عليها لا تخفى على أحد ذلك أن الركن الثالث من أركان الإسلام يفرض إخراج الزكاة من القادرين لصالح المستحقين وبعد ذلك حث على الصدقة وبذل المعروف وصلة الرحم وغيرها من الأعمال الجليلة التي يدعو إليها الإسلام. وعلى أية حال فإن العمل الخيري له أهمية كبرى في حماية المجتمع من الانقسام إلى أغنياء ومحرومين ومحتاجين مما يسبب نقمة الأخير على الأول، لذلك فإن العمل الخيري له دور فاعل في ترسيخ العلاقات الإنسانية بين الناس مما يقوي من دعائم المجتمع المسلم وجعله كالبنيان يشد بعضه أزر بعض. وحيث أن العمل الخيري من السمات المميزة لأبناء هذا البلد الخير من حاكم ومحكوم والذي منبعه تمسك هذه الأمة بدين الإسلام الذي يحث على البر والصلة والتكافل الاجتماعي من خلال أركانه وسننه ومستحباته. أما من الناحية التاريخية فإن العمل الخيري في هذا البلد الطيب كان يتم من خلال الأفراد أو الجماعات لكن دون تنظيم معين ثم تلا ذلك مبادرات تنظيمية للعمل الخيري جاءت على شكل صناديق أو جمعيات للبر في المدن المختلفة ومع زيادة عدد السكان والنمو الاقتصادي والاجتماعي في المملكة وتسابق الناس في الإنفاق وعمل الخير نشأت الجمعيات الخيرية وما ترتب على وجودها وانتشارها من إيجاد نظام للجمعيات الخيرية تم بموجبه إيجاد مظلات رسمية وخاصة تنطوي تحتها تلك الجمعيات حيث يتم تسجيلها في سجل خاص بها ، هذا وقد روعي في النظام أن يكون مرناً ليسهل على الجمعيات والقائمين عليها وضع القواعد والأهداف المناسبة لكل منها.

وعلى العموم فإن مؤسسات العمل الخيري متعددة الأهداف فمنها ما يعمل في الداخل ومنها ما يقوم ببعض النشاط الإغاثي والإنساني في الخارج وبعض منها تخضع للإشراف العام من قبل جهات عديدة لعل من أهمها:

-1وزارة العمل والشؤون الاجتماعية التي تشرف على الجمعيات الخيرية في الداخل والتي يبلغ عددها أكثر من 247جمعية خيرية في مختلف مدن وقرى المملكة بالإضافة إلى أكثر من 27مؤسسة خيرية.

-2وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد يتبع لإشرافها عدد من الهيئات التي تعمل في مجال العمل الخيري مثل مؤسسة الحرمين وندوة الشباب الإسلامي وجمعيات تحفيظ القرآن ومكاتب توعية الجاليات وغيرها.

-3وزارة الداخلية ويتبع لإشرافها لجان مساعدة السجناء المعسرين.

-4وزارة الصحة ويتبع لإشرافها لجان أصدقاء المرضى التي تنبثق عن الغرف التجارية والصناعية.

-5الهلال الأحمر ويتبع لإشرافه لجان الإسعاف التطوعية.

-6هناك بعض الجمعيات المسجلة في خارج المملكة والتي لا تخضع لإشراف الدولة وتقوم بنشاطها دون تصريح أو موافقة منها.

-7هناك عدد من المؤسسات الخيرية المستقلة التي يمكن أن نذكر منها:

أ - مؤسسة الملك عبدالعزيز الخيرية.

ب - مؤسسة الملك فيصل الخيرية.

ج - مؤسسة الملك خالد الخيرية.

د - مؤسسة الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لوالديه الخيرية.

هـ - مدينة الأمير سلطان بن عبدالعزيز للخدمات الانسانية.

و - مؤسسة البراهيم الخيرية.

ل - مؤسسة عبدالرحمن السديري الخيرية.

وغير ذلك من المؤسسات الخيرية التي لم يرد ذكرها. من ذلك كله يتضح أن العمل الخيري سمة ينشدها أبناء هذه البلاد الكريمة وعلى جميع المستويات. وعلى العموم فإن العمل الخيري في المملكة يحتاج إلى مزيد من التنظيم وهذا ما أشارت إليه الأبحاث المقدمة في الملتقى الأول للجمعيات الخيرية الذي عقدت تحت إشراف وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في الفترة من 16- 18شعبان 1423هـ حيث جاء في مقدمة الإصدار الذي ضم الأبحاث ملخص لأهم المعوقات التي تعترض الجمعيات الخيرية التي يمكن أن نذكر منها:

-1عدم وجود إطار عام للأهداف والذي يمكن أن تضع على ضوئه كل جمعية أهدافها وبرنامج عملها.

-2توجد ازدواجية في الخدمات التي تقدم من قبل جمعيات البر والجمعيات الخيرية والأنشطة الخيرية الأخرى في المدن التي تؤدي خدماتها فيها مما يترتب على ذلك ازدواجية في البرامج والأنشطة التي تقوم بها الجمعيات الخيرية في المدينة الواحدة مما أدى إلى ارتفاع النفقات الانشائية والتشغيلية وتكرار صرف بعض المساعدات لبعض المستفيدين في السنة الواحدة.

-3عدم وجود خطط شاملة للمنطقة أو المدينة للنهوض بها اجتماعياً إذ أن كل جمعية تقوم بتخطيط مصروفاتها واقتراح الطرق التي يمكن بها الحصول على مواردها بصورة مستقلة.

-4عدم كفاية البيانات (التقارير) التي توضح نتائج أعمال النشاط الخيري.

-5رقابة وزارة العمل والشؤون الاجتماعية على النشاط الخيري تكاد تقتصر على الرقابة المالية بعد الصرف.

-6لا توجد أي معايير للتوظيف داخل الجمعيات الخيرية مما يترتب عليه التحاق بعض الكفاءات غير المؤهلة مما يؤثر على مستوى أداء تلك الجمعيات وعلى وجود بعض التجاوزات في أحيان أخرى.

-7لا يوجد أي خطط عامة لهيكل تدريبي مناسب للعاملين بالجمعيات الخيرية.

-8أن معظم الميزانيات التقديرية التي توضع في أول كل سنة مالية لا يتم التمشي بموجبها بصفة عامة ولا توضح النسب المالية لأوجه الانفاق لكل من الزكاة، المساعدات المشروطة، المساعدات غير المشروطة، الإنشاءات والنفقات الرأسمالية، المساعدات لغرض التنمية الاجتماعية وغيرها.

-9معظم النفقات التي تصرفها الجمعيات الخيرية للمستفيدين تتم على هيئة مساعدات تنمي روح الاتكالية عند المستفيدين في الوقت الذي ينبغي أن يتم الصرف بأسلوب يساعد على تنمية روح الاعتماد على النفس.

-10من الجمعيات الخيرية تدار بواسطة متطوعين غير متفرغين وفي المقابل هناك 65,% من الجمعيات تدار بواسطة 30% المتفرغين أما معظم الجمعيات الخيرية 664,% فتدار بتعاون المتطوعين والمتفرغين الذين تم توظيفهم من خلال إيرادات التبرعات وعدد منهم من الجنسيات غير السعودية. وعلى العموم فإن العمل على تلافي مثل تلك المعوقات سوف يحسن من عمل الجمعيات الخيرية التي يحسن أن تكون دعامة من دعائم التنمية الوطنية ورفع مستوى المعيشة ومصدراً من مصادر مكافحة الفقر والقضاء عليه في هذا البلد المعطى خصوصاً بعد مبادرة صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني حفظه الله التي تمثلت في زيارته لعدد من الأحياء والمساكن التي يقطنها فقراء وأمره بإنشاء صندوق لهذا الغرض. إن الجمعيات الخيرية وبما تحوزه من موارد مجزية خصوصاً الكبيرة منها عليها مسؤوليات كبيرة لعلنا نذكر منها:

-1على الجمعيات الخيرية أن لا تكون واسطة بين الفقير والغني تأخذ من هذا وتعطي هذا فقط بل يجب عليها أن تعتمد أسلوب الاستثمار لبعض مواردها بحيث تستطيع الاستمرار في أداء مهمتها تحت الظروف المختلفة ناهيك عن ضمان استمرار تدفق حد أدنى من الدخل.

-2يحسن أن تصنف الجمعيات الخيرية بحيث يكون لكل منها نشاط معين مثل أن يعمل بعض منها في مجال التعليم والتدريب والبعض الآخر في مجال الرعاية الصحية أو الرعاية الاجتماعية أو مجال رعاية المسنين أو الأطفال أو مجال الدعوة أو مجال الثقافة أو غير ذلك من المجالات خصوصاً عند تعدد الجمعيات الخيرية في المدينة الواحدة وهذا يؤدى إلى عدم تعارض أو تكرار نشاطها وعدم استفادة جهة واحدة أكثر من مرة من جمعيتين خيريتين أو أكثر دون علم أي منها بما قدمته الأخرى.

-3على كل جمعية أو مؤسسة خيرية أن توجد قاعدة معلومات تشتمل على إحصائيات دقيقة باستخدام الحاسب الآلي وذلك لأوجه نشاطها وللمستفيدين منها وبالتنسيق مع الجمعيات الخيرية الأخرى لتحقيق مبدأ التكامل.

-4إنشاء أقسام إعلامية في الجمعيات الخيرية الكبيرة تعتبر أمراً هاماً لأن ذلك يمكنها من الإشهار والاتصال هذا وقد أثبتت بعض الدراسات أن 40% فقط من الجمعيات الخيرية يوجد لديها أقسام إعلامية أو لجان علاقات عامة في حين أن ثلثي الجمعيات الخيرية يفتقد مثل ذلك ومن الشواهد على ذلك قلة شهرة كثير منها ناهيك عن عدم التنسيق بينها فيما يخص جمع التبرعات حيث نجد أن عشرات الرسائل من الجمعيات المختلفة تصل إلى أشخاص محدودي العدد بينما كان من الأفضل زيادة رقعة التوزيع وتقليل عدد الطلبات الواردة للشخص الواحد أو المؤسسة الواحدة حتى يأخذها ذلك الشخص أو تلك المؤسسة بجدية أكثر.

-5يوجد 60% من الجمعيات تستخدم الإعلان الصحفي وخصوصاً في شهر رمضان المبارك وهذا يعني أن الصحف تساهم إيجابياً في زيادة مساهمات رجال الأعمال والجمهور عموماً في العمل الخيري ومن ناحية أخرى لوحظ أن الجمعيات الخيرية لا تعتمد على الإعلان الإذاعي بينما لا يتعدى من يعتمد منها على الاعلان التلفزيوني 12% منها.

-6من خلال ذلك يؤمل من وزارة الإعلام أن تخصص عدداً محدداً من الإعلانات لصالح الجمعيات الخيرية في الإذاعة والتلفزيون مما يساعد على إشهار تلك الجمعيات والتعريف بها مما ينعكس إيجابياً على أعمالها ناهيك عن قيام تلك الجمعيات بالعمل على إعداد برامج متخصصة ذات أسلوب جذاب تقدم من خلال وسائل الإعلام المختلفة.

-7على مراكز الأبحاث والباحثين المتخصصين في الجامعات وكذلك طلبة الدراسات العليا لكل من الماجستير والدكتوراه الاتجاه في أبحاثهم التخصصية لتغطية الجوانب المختلفة لأعمال الجمعيات الخيرية ومهامها وأدائها وأسلوب ممارساتها وتغطية الشرائح المستفيدة من أعمالها بالبحث والتقصي بالإضافة إلى عمل دراسات مقارنة مع أعمال الجمعيات الخيرية في البلدان المتقدمة من حيث الأسلوب والوسيلة والغاية وبما يتوافق مع معطياتنا العقدية والثقافية والاجتماعية لأن مثل تلك الدراسات سوف تثري العمل الخيري في المملكة وتجعل منه رافداً تنموياً يدعم القطاعات التنموية المختلفة.

-8إن الأنظمة التي تحكم عمل الجمعيات الخيرية تحتاج إلى إعادة الدراسة والتطوير وبما يتواكب مع ظروف ومستجدات المرحلة التي نعيشها سواء ما يتعلق بالتخصص أو أسلوب الإنفاق أو أسلوب الجباية أو طريقة التوظيف وكذلك أساليب العمل والرقابة والمتابعة المباشرة وغير المباشرة ناهيك عن تحمل المسؤولية والمحاسبة على الأخطاء.

-9يحبذ أن تقوم الجهات الرسمية المختلفة المشرفة على الجمعيات والمؤسسات الخيرية مثل وزارة العمل والشؤون الاجتماعية وكذلك وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد وغيرها بإعداد دراسات ميدانية توضح المجالات التي يمكن أن تستفيد من عمل الجمعيات الخيرية في إطار تنموي وحسب خطط زمنية محددة وأن لا يترك الأمر بصورة كلية للاجتهاد كما هو قائم حالياً مما ينعكس ايجابياً على كل من الأداء وكذلك عملية المتابعة والاشراف.

-10إن توظيف الشباب السعودي للعمل في الجمعيات والمؤسسات الخيرية أصبح اليوم مطلباً فهو يؤدي الى توفير وظيفة لشاب يبحث عن عمل وفي الوقت نفسه يوفر للجمعية موظفاً متفرغاً أكثر قدرة على الأداء من بعض الأخوة المتطوعين الذين يقتطعون من أوقاتهم الخاصة للعمل في الجمعيات ناهيك عن استقطاب الشباب المتخصصين في هذا المجال أو تدريبهم عليه.

وفي الختام فإني أحب أن أشير إلى أن الجمعيات والمؤسسات الخيرية ظاهرة إيجابية تؤدي دوراً محموداً وجميلاً وإيجابياتها أكثر من أن تعد أو تحصى وقد تعرضت في هذه العجالة لبعض المعوقات التي ربما تعترض عملها وتعيقه. آملاً أن تشق طريقها نحو الأفضل كماً وكيفاً على أن من أهم العوامل التي سوف تساعد على تطورها هو إعادة الهيكلة بما يتواكب مع المستجدات المحلية والدولية ناهيك عن تطوير أسلوب الإشراف والمتابعة الإدارية والمالية الدقيقة لأعمالها مما يفرض عليها مزيداً من التطور الإداري والمالي ناهيك عن التصنيف التخصصي لكل جمعية بحيث يتم تقاسم الأعباء بحيث يصبح عمل المؤسسات والجمعيات الخيرية أكثر تخصصية مما هو قائم حالياً بحيث يتبادر إلى ذهن المستفيد أو المتبرع نوعية العمل الذي تمارسه هذه الجمعية أو تلك بمجرد السماع باسمها على أن من أهم الأمور التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار هو جعل عمل الجمعيات الخيرية رافداً تنموياً تُعَدّ له الخطط والبرامج والدراسات وتذلل له الصعوبات.

إن إنشاء الهيئة العليا التي سوف تشرف على العمل الخيري في المملكة جاءت في الوقت المناسب ونتوقع أن يكون لها جهود تجعل العمل الخيري أكثر تطوراً وانضباطاً. ناهيك عن تطوير تلك الهيئة فيما بعد إلى ما هو أكبر منها وأشمل... يتبع والله المستعان.